

المأدبة الأكاديمية

في استقبال الأستاذ الدكتور مشهود محمود محمد جمبا
إلى مصاف الأستاذية



بشراك أستاذنا الدكتور ناصحنا ** أن التكاسل يهدي الناس للندم
إلى الأمام كطير لا يصيبك ما ** أصاب فرعون بعد الرفع والنعم

٢٠١٧/١٤٣٨ هـ

الالتزام الإسلامي في رثاء مشهود محمود محمد جمبا للشيخ عثمان شعيب أبي بكر أيلينا

إعداد

الدكتور لطيف أونرتي إبراهيم

رئيس قسم اللغة العربية، جامعة إلورن

و

طيب عبد الواحد أديسي

باحث بقسم اللغة العربية، في الجامعة نفسها

المقدمة

أكثر الذين تعلموا العربية في نيجيريا تعلموها لغرض ديني إسلامي، ولذلك يجب أن تتسم أعمالهم بصيغة إسلامية في أفكارها ومبناها إلا أن بيئتهم التي يعيشون عليها، المتصفة بالتعدد الديني والروافض الإلحادية في سياستها واقتصادها وتربيتها، قد أثرت في إنتاجهم و لذلك يكون من الأهمية بمكان أن تدرس أعمالهم دراسة إسلامية لنكشف عن مدى التزامهم فيها بالقيم الإسلامية وتعاليمها.

فهذا البحث يهدف إلى دراسة عمل أحد أعلام اللغة العربية في هذه الديار النيجيرية، مشهود محمود محمد جمبا، ليكون نموذجاً لأدب العربي الإسلامي فيها. وبما أن نطاق هذا البحث ضيق من أن يستوعب أعمال هذا العلم ركزنا على مقالة رثى بها عثمان شعيب أبوبكر بالدراسة. ولتحقيق الغرض المنشود منه قسمنا البحث إلى خمسة

أقسام، المقدمة، وترجمة حياة الكاتب جمبا وعرض نص الرثاء: ودراسة النص دراسة إسلامية ثم الخاتمة.

١ - الالتزام الإسلامي

نسبة إلى الأدب الإسلامي، فهو تعبير فني جميل مؤثر، نابع من ذات مؤمنة، مترجم عن الإنسان والحياة والكون، وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر، ومحفز لاتخاذ الموقف والقيام بنشاط ما^١

ولندرك حقيقة الالتزام الإسلامي، لا بد لنا من عرض بسيط وتمهيد يسير لمصطلح "الأدب الإسلامي، إذ من الآخر نبع الأول، فعرف الأدب الإسلامي بـ "التعبير الفني الجميل للأديب المسلم من تجربته في الحياة من خلال التصور الإسلامي"^٢

وهذا النوع من الأدب مع حدثه كمنهج أصيل في الأدب العربي منذ أن أشرقت سماء الدنيا بنور الإسلام الوداج^٣. والأصل في الإسلام أن لا يتفوّه المسلم إلا ما طاب من الكلام وحسن، إذ المرء سواء كان مؤمناً أو كافراً مسؤول عن مقولاته كما قال الله تعالى: "يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون" النور: ٢٤، وجاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: "إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يلقى لها بالاً يهوي بها في جهنم" رواه البخاري.

تبعاً لما أسلفنا، بناء الالتزام الإسلامي ولادة الأدب الإسلامي، والالتزام قضية مهمة من قضايا الأدب الإسلامي، وهو أن يلتزم الأديب المسلم تعاليم الإسلام ومبادئه

وقيمه في أعماله الأدبية لا يفارقها مهما كانت الظروف، لأنّ الإنسان الحقيقي لا ينفصل عن ذاته عند التعبير عن فكره وفنه وأن آثاره الأدبية ومعتقداته وأحلامه كلها ترتبط بتلك الذات القوية المتماسكة.^٤

فقد تكون القصيدة ملتزمة وشاعرها غير ملتزم، وذلك إذا التزم الشاعر بالقيم الإسلامية في قصيدة وانحرف منها في الأخرى، على سبيل المثال ما ظهر لدى أحمد شوقي -أمير الشعراء- الذي نظم أشعارا كثيرة رائعة ملتزما فيها بتعاليم الإسلام، ثم وجدناه في بعض قصائده منحرفا عن تعاليم العقيدة الإسلامية، فهذا هو يصف الخمر ويرغب الناس في شربها بعد تولية رمضان وإقبال العيد^٥:

رمضان ولي هاتما يا ساقى ** مشتاقا تسعى إلى مشتاق

ما كان أكثره على آلافيها ** وأقله في طاعة الخلاق

الله غفار الذنوب جميعها ** إن كان ثم من الذنوب بواقى

بالأمس قد كنا سحيني طاعة ** واليوم من العيد بالإطلاق^٦

وقد يكون الشاعر غير مسلم ملتزم بالتعاليم الإسلامية، كما رأينا لدى زهير بن أبي سلمى في قوله:

ومن هاب أسباب المنايا ينلته ** ولو رام أسباب السماء بسلم^٧

لولا أنّ عهد الشاعر سبق الإسلام، لقلنا إنه استمد هذه الفكرة من قول الله

تعالى: " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ

رُحِزَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾، آل عمران: ١٨٥. وقوله تعالى: "أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا" ﴿١٨٦﴾، سورة النساء، الآية ٧٨.

لكن مع ذلك، لا يعتبر هذا النوع من الشعر أو الأدب ضمن الأدب الإسلامي، لأنه صدر من غير مسلم وكانت المؤلفة عن طريق الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها، وليست عن تعاليم أصيلة فيه وترى عليها.^٨

٢- النص المختار؛ رثاء الشيخ عثمان بن شعيب أبي بكر أليينلا وداعا يا حب الملائين

لقد جاء خبر الفاجعة كسهم غير طائش، أصاب القلوب إصابة تركت فيها جروحا لا تبرا في وقت قريب، إنه خبر وفاة العالم الكبير والكاتب النحرير الشيخ عثمان بن شعيب أبوبكر أليينلا. لقد سقط بموته نجم من نجوم العلم والمعرفة، وهوى علم من أعلام اللغة والأدب، بل وانهار ركن من أركان الدعوة الإسلامية وانطوت صفحة أخرى بيضاء من صفحات التصوف في نيجيريا.

لقد رحلت يا شيخ عثمان إلى عالم الشهداء، ولم تتجاوز الخامسة والأربعين من عمرك، ولنا في موتك دروس وعبرة، أهمها أن حياة المرء دقائق وثوان على حد قول الشاعر:

دقات قلب المرء قائمة له ** إن الحياة دقائق وثواني

فليست العبرة بطول العمر، بل بالإنجازات التي حققها في حياته، وبالأثار التي خلفها بعد موته، فكل ثانية وكل دقيقة تحسب للمرء أو عليه، وفي ذلك ذكر وعبرة، فهل من مذكر؟

ومن الناس من يعمر في الدنيا ولا تساوي آثاره شروى نفي، ومنهم من يموت شابا وآثاره تنوء بقافلة من الحمير، لقد خلفت لنا يا عثمان من الآثار العلمية والدينية والخلقية ما ليس بيسير.

ومن الدروس أيضا أن كثرة عبادة المرء لا تجعله - حتما - طويل العمر، فلو كان العكس صحيحا لعاش المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، ولعاش الشيخ آدم عبد الله الإلوري إلى يومنا هذا، ولكان الحاج عثمان من أطول الناس عمرا، ولكن الأعمار طولها وقصرها بيد الله، وقد استأثر سبحانه وتعالى بأسرارها وإدارتها، فهو عالم الغيب والشهادة (رأى الله بنظرة الإسلام فهو عالم الغيب والشهادة)، وهو خير بعباده وبأحوالهم، فلو اطلعنا على الغيب - كما قال الرسول الأمين - لرضينا بالواقع.

لقد قدر الله أن يقول شيوخك رثاءك، وكم تمنوا أن تقول أنت رثاءهم، وما نحن اليوم نقول رثاءك - يا من لا يسمع بموت عالم مسلم إلا رثاه ودعا له - وقلوبنا حزينة

وعيوننا تجري دموعا ولكن متى يقال رثاؤنا نحن ومن يقوله؟ العلم عند الله، وهذا ذكر للعالمين، فهل من مدكر؟

وداعا يا رمز الجهاد والنضال! وداعا يا كثير الحركات غزير البكات!! وداعا يا حب الملايين!!! إنَّ القلب ليحزن وإنَّ العين لتدمع، وإنا لفراقك يا عثمان لمحزونون.

إلى اللقاء! وإلى اللقاء!! وإلى اللقاء!!!

٢ من ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ الموافق ١٢ من يونيو ٢٠١٢ م.^٩

٣- الالتزام في النص المعروف

لقد التزم جمبا التزاما إسلاميا مع عناصره الاجتماعية والأخلاقية والإنسانية وغيرها في كثير مما صدر لديه من الانتاجات العلمية والأدبية: منذ نعوم أظفاره في ساحة العلم، يسيل يربوعه شرقا وغربا متأثرا بمبادئ الدين الحنيف، وقد وفق صاحبنا غير قليل في الالتزام، ولتقف على بعض هذه الالتزامات في رثاءه للشيخ عثمان بن شعيب أبي بكر أليينلا.

وكان جمبا كغيره ممن نشؤوا في بيت علم وورع، وتربوا على يد شيوخ الدين، يلتمسون للدين الحنيف عزا ونصرا، ولا يخافون في الله لومة لائم، وهو من القليل النادر الذين لا يرضون لهوهم وعواطفهم الأدبية تتغلب على أن ينقاضوا ويخضعوا لما يحب الله ويرضاه، فافتتح الرثاء بنعيه وتأسفه لفراق الزميل الراحل، فوصف خير وفاته الفاجع كسهم غير طائش، وهذا يجوز شرعا، لأن التأسف على فراق الحبيب والبكاء عليه كما

ثبت في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه بكى عند موت ابنه إبراهيم وحزن حزنا شديدا، ولكن الذي حرم الشرع التفوه بالكلام أقبحه.

وأثنى المرثي المرثي عليه بما هو أهل له، وهذا أيضا مما دعا إليه الإسلام، كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أنه مرّ بقبر فذكر الصحابة عن صاحب القبر بخير فقال الرسول: وجبت -يعني وجبت له الجنة- ثم مرّوا بقبر وذكروا أنه من شرار الناس فقال المصطفى: وجبت -يعني وجبت عليه النار- والناس شهداء الله على الأرض. وحصر المرحوم في زمرة الشهداء لأنه توفي في اصطدام السيارة وهو في طريقه إلى مناسبة دعوية إسلامية.

فالتزم المرثي التعاليم الإسلامية، ونصح الأمة بما فيه صلاحهم، وذكرنا بموت الراحل أنه دروس وعبرة، فأخذ العبرة من حياة المرحوم لأنه مسلم والمسلم هو الذي يأخذ العبر من كل شيء وقد أدى بذلك من الواجبات المرجوة لدى الأديب المسلم ألا فهو الوعظ والإرشاد يذكر أن الموت وسبيل كل حي وهو يتلو "كل نفس ذائقة الموت" وأنه يحاسب على أعماله في الدنيا، وأن حياة المرء دقائق وثوان، فإذا جاء أجلها فلا يأخر ولا يقدم، وأن كلاً عند الله معمر إلى أجل مسمى، فهذا قد جاء أجل المرثي عليه، فمتى يحين أجلنا نحن، إن في ذلك لعبرة، فهل من مدكر؟

واستمدّ بنا المرثي ملتزما التزاما إسلاميا داعيا إلى ذكر الموت، وأخذ الرسول نموذجا يحتذى به حتى قصر العمر بجلال الأعمال عاملا بالآية: "ولكم في رسول الله أسوة حسنة"، وأن الإنسان محاسب بكل دقيقة وبكل ثانية قطعها في الدنيا، والأعمال

معروضة للميزان، فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، ومن خفت موازينه فأمه هاوية كما قال تعالى: "فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ۝٦ فَهُوَ فِي بَيْتٍ رَاضِيَةٍ ۖ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۖ ۝٩" سورة القارعة، الآية ٦-٩. والعبرة ليست بطول العمر ولكن بحسن العمل والآثار الباقية بعد الوفاة، وقد حُلِدَ المرثى عليه آثارا لا يستهان بها للناس وللدين.

ومما تقتطف من الرثاء أنّ كثرة عبادة المرء لا تجعله ممتدا العمر، ولو كان كذلك لبقى مصطفى صلى الله عليه وسلم بين ظهرائنا، ولكان المرثى عليه موجودا بيننا، ولكنّ الأعمار طولها وقصرها بمقدار عند الله العليّ القدير.

ودّع المرثى المرثى عليه فأظهر الحزن بعاطفة حرة على المصيبة بدون أن يقول "إنا لله وإنا إليه راجعون" كما في تعاليم الإسلام حبذا لو قال ذلك فيظهر القيم الإسلامية، ولعلّ الحزن العميق ما أنساه ذلك فغلبت عليه العاطفة فحمله الحزن ما لا يطيق ولا يتحمّل من فراق الحبيب. ولم يقم المرثى هنا بتعزية أهل المتوفى، لعلّه رأى نفسه من أهل الأقارب وذلك لتيقنه أن أخوة الإسلام أقوى قرابة من قرابة الدم كما ثبت في النصوص القرآنية والحديثية.

واختتم المرثى رثاءه بقول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما يفقد أحد الأعزاء عليه وهو قوله: إنّ القلب ليحزن وإنّ العين لتدمع وإنا لفراقك يا عثمان لمحزونون.

٤ - بلاغة النص

يتمتع هذا الرثاء برفاعة البلاغة والفصاحة، ومن حسن بلاغته افتتاحه لفرثاء، حيث بدأ بما يروق للسامع ويشوقه لحسن الاستماع، وهو يخاطب القلوب النابغة، ويفهم جميع الناس على تباين طبقاتهم في الإدراك. وأحسن تصوير حال المرثى له ونبيه من يعيش أن الموت لا محال له.

ومن أهم الروائع البلاغية في الرثاء:

التشبيه: ومن ذلك قوله: خبر الفاجعة كسهم غير طائش وهو تشبيه تمثيلي في تصوير الحزن كالألم.

الاقتباس: فهل من مدكر؟

الخاتمة

يتضح خلال العرض السابق ما يتمتع به بروفييسور جمبا من التزامه بتعاليم الدين الإسلامي، فالترم أخلاقيا واجتماعيا ودينيا، وهو من القليل النادر الذين التزموا بدينهم في روائع أعمالهم الأدبية، وحاولت الورقة إبراز مدى توفيق هذا الأديب إلى الالتزام التزاما إسلاميا وذلك خلال رثاءه للشيخ عثمان بن شعيب أبي بكر أيلينلا، ولله الحمد في الأولى والآخرة.

الهوامش

- ١- محمد حسن برغيش، الأدب الإسلامي أصوله وسماته، مؤسسة الرئاسة، بيروت ١٩٩٧م، ص ١١٤.
- ٢- كمال الدين المبارك علي، المدخل إلى المنهج الإسلامي في الفنون الأدبية الحقائق والخصائص، دار النور، أوتشي نيجيريا، ص ٤٥.
- ٣- لطيف أونيرتي إبراهيم، "الشعر الإسلامي في بلاد يوربا من ١٩٦٠م إلى ٢٠٠٩م"، بحث مقدّم إلى قسم اللغة العربية بجامعة إلورن للحصول على درجة الدكتوراه، ٢٠١١م، ص ٢.
- ٤- لطيف أونيرتي إبراهيم، المرجع السابق، ص ٧.
- ٥- المرجع نفسه، ص ٨.
- ٦- ناصر عبد الرحمن الحسيني، المرجع السابق، ص ٢٥.
- ٧- محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٢٦٥.
- ٨- لطيف أونيرتي إبراهيم، ص ٣.
- ٩- عثمان عبد السلام محمد الثقافي، المنتخبات من المخطوطات العربية والإسلامية في الديار النيجيرية، مخطوط، دار المخطوطات العربية والإسلامية بمعهد الثقافة الأدبية غا أريمو، إلورن. ١٩٩٥م، ص ٧٠-٧١.



BANQUET FOR INDUCTION OF

Professor Moshood Mahmood Jimba

Into The Academic Salon

1438A.H/2017C.E

ISBN: 25-79-0442



Unionin Press